

المقاربات الخمس وحظوظها

بقلم د. حامد طاهر

كما أن الحظ قد يتحكم في حياة الأفراد ، وكذلك الدول ، فإنه يتحكم فيما يبدو في حياة المقاربات . لقد تعلمنا جميعا في المدرسة أن عدد المقاربات خمسة هي أوروبا وآسيا وإفريقية وأمريكا وأستراليا . وقد حدثونا كثيراً عن مساحاتها ، وتضاريسها ، وأحوال المناخ فيها ، وكذلك ما تحتوى عليه من مواد طبيعية ، وما تشتمل عليه من جبال وأنهار ، لكن الشيء الذي لم يحدثونا عنه هو أن بعض هذه المقاربات قد ارتفع شأنه وعلو قدره بينما ظلت قارات أخرى تعاني الفقر والمرض والإهمال . وعندما حاولنا أن نبحث عن السبب وجدنا أن أوروبا هي التي سبقت المقاربات الأخرى في العصر الحديث من حيث العمران ، والازدهار الاقتصادي والرفاه الاجتماعي . لماذا ؟ لأنها هي التي

احتضنت الثورة الصناعية عندما نشأت، وبالتالي استفادت أولاً من كل منجزاتها، ثم راحت تتطلع إلى خيارات المقارنات الأخرى، فاككتشتف أمريكا واستراليا، ثم استعمرت العديد من البلاد فى قارتى آسيا وإفريقية. وهكذا تجمعت فى أوروبا بالإضافة إلى مواردها الخاصة، وهى كثيرة، كل موارد المقارنات الأخرى، المنهوبة بواسطة الاستعمار. أما كل من أمريكا الشمالية واستراليا فقد هاجر إليها العديد من الأوروبيين، واستطاعوا أن يقيموا فيها حياة مزدهرة، ما لبثت أن بلغت بل وتفوقت على ما وصلت إليه أوروبا نفسها، وأصبحت أمريكا تملك من القوة والثروة ما يجعلها تعتقد أنها سيده العالم المعاصر.

أما المقارناتان العتيقتان: آسيا وإفريقية فقد بقيتا لفترة طويلة تذبذبان حظهما العاشر. لكن بعض بلاد آسيا أسرعت بالتقاط وصىة التقدم، وراحت تطبقها بمهارة، ودون ضجيج حتى تمكنت من الوقوف على قدميها، ثم تمضى على طريق التقدم بخطى ثابتة وواعدة. وهى بهذا الشكل لم تستسلم لمقولة الحظ العاشر، بل صنعت مصيرها بنفسها وسط العديد من العقبات المحلية وكذلك الدولية التى وضعها الغرب فى طريقها. لكن إذا كان الكثير من البلاد الآسيوية لم تتقدم بعد، فإن الروح الآسيوية الموجودة بالمقارة سوف تدفعها قريباً إلى النهوض، ومحاولة اللحاق بزميلاتها المتقدمة.

تبقى قارة إفريقية. والمؤسف أنه لا يكاد يوجد فيها نموذج واحد للتقدم والنهضة. وكلما حاولت إحداها أن تقف على قدميها وجدت المضربات تلحقها من كل جانب. لماذا؟ لأنها الجار الأقرب لأوروبا، ثم إنها تعيش على وهم أنها تخلصت تماماً من الاستعمار، وبدأت تدخل معركة التنمية. وهذا غير صحيح. فالاستعمار الماكر ما زال جاثماً على صدرها، متحكماً فى قراراتها، مستغلاً مواردها الطبيعية كما كان يفعل أثناء احتلال جيوشه لها! وعلى الرغم من ذلك كله، فإن إفريقيا تريد أن تنهض، وترغب فى ذلك، لكن عصا الحظ السحرية لم تمسها بعد. والغريب أنها ما زالت تنتظر هذه العصا لى تضربها.. كما ضربتها آلاف المصائب من قبل!